سلسلة المعارف الباطنيّة:

الانسان... مغزى ومعنى

قلما جادت المكتبات بمؤلفات تبحث في الانسان كمحور للوجود، مذ لفظته الكلمة فصار معناها. وقلما سبر انسان باطن الانسان ليستكشف تلك المنطقة العالية من الكيان البشري، حيث مسكن الروح في معبد الذات، وحيث التوق الاسمى الى عبور الكمال والشوق الأكمل الى مسار الاله... الباطن... ذلك التراث القديم المقيم في اعماق الانسان، قد ينفض عنه القارىء الغبار من خزانة الأدب من ضمن مؤلفات، يمكن ادراجها في خانة الادب الباطني... لكن المعارف الباطنية (الايزوتيريكية) بدات اليوم تلقي الاجوبة على تساؤلات كثيرة لا يزال الانسان يتخبط في متاهاتها ويدور في فلكها فتعوق درب تطوره. سلسلة المعارف الباطنية الجديدة هذه صدرت عن منشورات «اصدقاء المعرفة البيضاء» في سبعة مؤلفات، في خِلال سبعة اشهر وهي من اعداد السيد ج. ب. م وتنسيقه. وجاء «كتاب الانسان» تتويجاً لها، تلته «الرسائل العشر» و «ارشادات الى العالم الباطني في الانسان» و «آراء الحكماء في الوجود والانسان» و «اعرف قلبك» و «علم الارقام وسر الصفر» و «رسالة معلم حكيم الى تلاميذه».

... وتبقى العناوين أوجز تعريف لمضمون الكتب. فغالباما لاتستوعب الكلمات المعاني الباطنية الكامنة بين السطور. وبهذا قد يخونها التعبير فتنحرف عن سبيل التعريف... لذلك كان من المستحب الاعتماد على بعض ما جاء في كل كتاب من تعريف لمضمونه على يد مؤلفه...

«كتاب الانسان»: كتاب «من يفضلون الاسمى». وهو الاول في نوعه في اللغة العربية، صدرت منه هذه السنة الطبعة الرابعة، وسعى الى تجميع الاحاديث فيه وتبويبها وتنقيحها وشرحها، السيد ج. ب. م مع مقدمة للمحامي موسى برنس.

لكل كتاب مناسبته... فاذا كان الانسان المحور الدائم والابدي، فان الهدف من وجوده على الارض الغوص في مجاهل ذاته، البشرية وأعماقها الغائرة منقباً عن اصل الروح وكنوزها الدفينة بمساعدة القوى الباطنية التي وهبتها له المشيئة الالهية فأهلته للسيادة على نفسه وعلى الطبيعة من حوله. فالانسان، مذ أساء على مر الزمن استعمال قواه الباطنية، حاد عن منهج ذاته وأمسى مكبلا بقيود المادة وخاضعا لسلطانها وجدلية متناقضاتها... وهكذا كان عليه ان يخضع نفسه الدنيا لسياط الارادة ويقدم الآلام قربانا لنفسه الجائعة الى العدالة الالهية.

وحدهم المعلمون الحكماء اكملوا مسيرتهم في مسار الاله، تبارك مسعاهم أقانيم السيادة والمعرفة والحكمة... هؤلاء هم أصحاب الأحاديث في كتاب الانسان. وهي، كما جاء في المقدمة، «أحاديث علمية باطنية وتطبيقية... ومحطات للتأمل على طريق المعرفة الكبرى الشاملة وتحديدها بأنها الانطلاق من المادة الى اللامادة في ما وراء الانسان والارض».

والجدير ان لهذه الاحاديث والتعاليم مكانتها السامية في قلوب سكان الشرق الاقصى حيث يخفق قلب الارض الباطني... لكنها ايضاً تأخذ بيد الطالب لتدخله الى معبد ذاته مقدماً على مذبحه قرابين آلامه وضوع تأملاته...

انه الدرب الى المعرفة الكبرى الشاملة، تبدأ في المادة لتنتهي في عالم الروح، فتتقصى أصل الانسان المجذر في روحه. أما الحقيقة التي تسطع في فحوى أحاديث المعلمين فتقول ان «الحكيم من يطبق الحكمة ويعلمها لا من يتفوه بها فقط».

انطلاقا من هذا الايمان الراسخ في خلاصة تجارب المعلمين، يلقى الانسان اجوبتـه على تساؤلاته في سر الوجود الكوني وهدفه، وفي أصل الانسان وغاية الرب من خلقه، وفي ما وراء المادة وتطور الوعي في الانسان، وصولا الى الوعي الكامل او الأكبر ودرجات الوعي السبع... كما يبحث الجزء الثاني من الكتاب في انارة العقل ومهمة عصر الفهم والمعرفة وفي عالم الماوراء. ورمز الارقام والاشكال الهندسية وطريق الذات الباطنية والجسم الاثيري، وبوادر «تفتيح» النظر الروحي وايقاظ المراكز الباطنية. ويدخل الجزء الثالث سكون التأمل في الحياة والألم ورمز العدل والصليب، والروح القدس في الانسان والايمان والعطاء والمحبة... ويغوص الجـزء الرابع في بواطن النفس وقواها الخفية، ونفس الله او الروح القدس والروح الجوهر في حياتها وعملها وعالمها وانعتاقها وارتقائها، فسكينتها وصفائها وصعودها الى الهيكل الرباني وخلودها وانضمامها الى الرب، فمعانقة النيرفانا، (ديمومة الغبطة في عالم اللاشكل).

* * *

«الرسائل العشر»: تتوجه مواضيعهـا الى الانسان الذي جهل ميزاته الباطنية، فاقتلعه الجهل من جذوره الحياتية والكونية، على مر أزمان عتقت في خوابي الدهر والقهر.

مرسلو هذه الرسائل هم مجموعة المعلمين الحكماء (اصحاب احاديث «كتاب الانسان»)، خطوا مضمونها لتكون بمثابة دراسات توجيهية عامة وشاملة تتعمق في شمولية المحبة ومغزى الانسان والقانون الاسمى وتوعية العقـل في الروح...

* * *

«ارشادات الى العالم الباطني في الانسان»: تأملات وحقائق باطنية في متناول التواقين الى البعد البشري. وهي كما جاء في الخاتمة ليست الا شذرات اولية في الحقائق الكونية الكبرى، تنير سبيل طالب المعرفة وتندرج في ٢٤ موضوعا

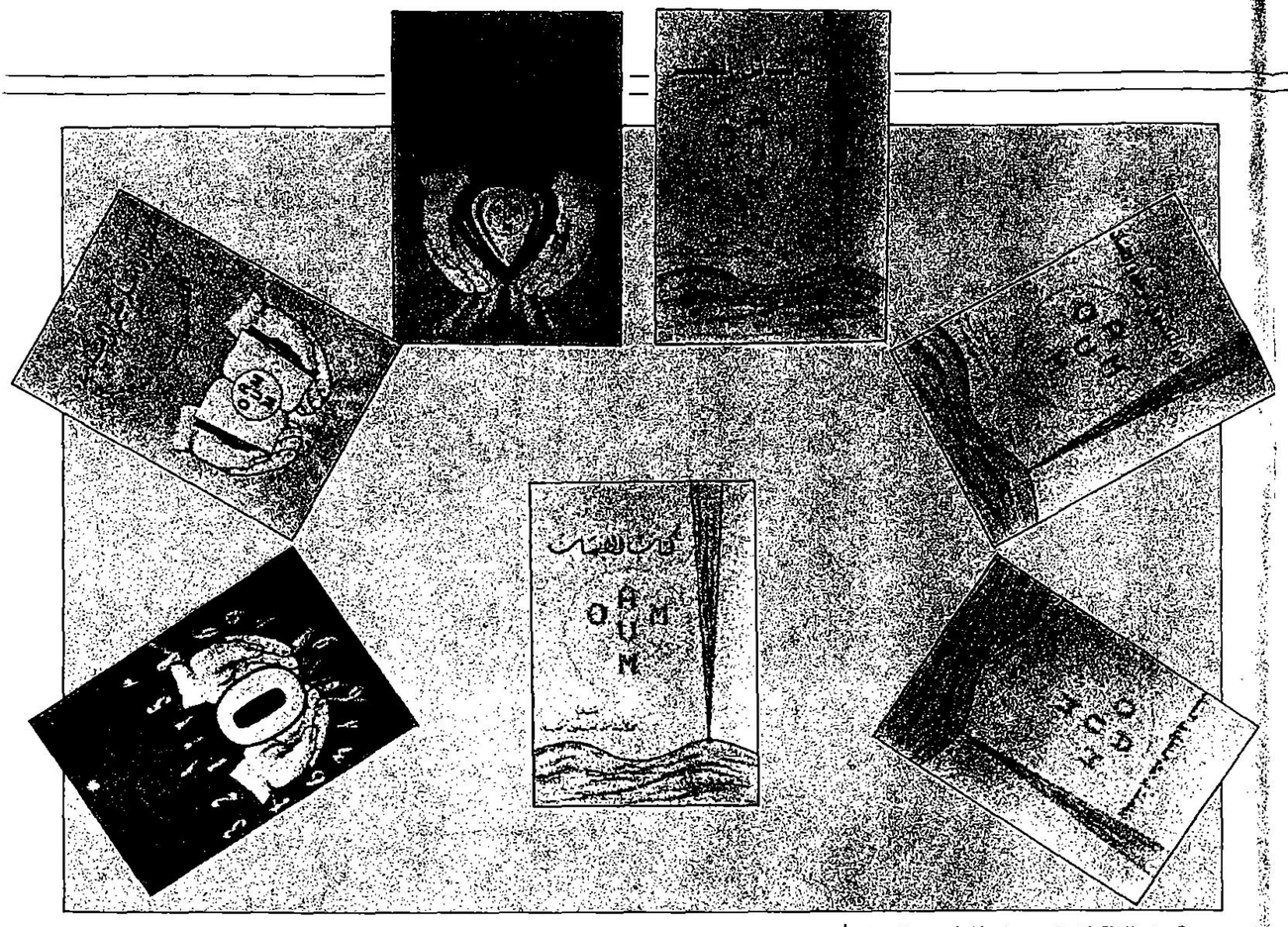

موزعة على ثلاثة اقسام. وهذه المواضيع تبحث في الانسان اللغز والمعرفة الباطنية والوعـي الباطني والتركيز العقلي والتأمـل الباطنـي والكمال الانساني وصفات الانسان وطبيعـة الذبذبات الباطنية، وحقيقة المعجزات ومغزى الحرية والتجسد الاختياري والوعـي الـكلي الشامل.

* * *

«آراء الحكماء في الوجود والانسان»: أعد ونسق من أجل الذيـن يتمتعـون بالنفحـة الوجدانية والشفافية الباطنية. وهو مجموعة اقوال المعلمين الحكماء وآرائهم وأحاديثهـم، ترجمت الى العربية بلغة المشاعر، لكنها حافظت على المغزى والمعنى في محاولة لتقديم المعرفة في قالب شعري يستسيغه ذوق القارىء...

الاقسام الخمسة في الكتاب تتنـاول آراء الحكمـاء في الانسـان وأجسامـه الباطنيـة وتستشعر بوجدانيتها الحب والمحبة والحكمة والوجود والروح والدين والتأمل والعقل والمادة والتطور والفـن والـزواج والالـم والكمـال والاشراف الكوني... الخ.

* * *

«إعرف قلبك»: أعد ونسق من أجل «كل انسان يبحث عن حقيقة نفسه، وكل طبيب يدرك ان ثمة أموراً خفية في الكيان البشري لم يتوصل اليها الطب بعد». العلم الباطني في هذا المجال يحوي من الحقائق ما يكفي بتوضيح ما غمض.

يتناول القسم الاول من الكتاب مكانة القلب في الكيان البشري وصلاته بالشمس والارض مع تشريح طبي وباطني للقلب. ويستكشف القسم الثاني حقيقة القلب البشري والاسباب الدفينة وراء نوبات القلب وامراضه. وهناك كتب في طور التأليف تتناول العقل والدمـاغ والاجسـام الباطنية في الانسان.

* * *

«علم الارقام وسر الصفر»: دعوة الى القارىء لتكوين فكرة اولية عن علم الارقام الكامن في الكيان البشري، مشكلا القاعدة التي نظمت عملية الخلق وتكوين العالم، والتي تلعب الدور الاكبر في تنظيم حياة الانسـان وتسييرهـا. فالمعلومات الموجودة في عالم الارقام تكشـف النقاب عن اسرار الذات. وليس هذا الكتاب الا دليلا الى علم الارقام يستشف منه القارىء الحقيقة الكامنة من خلال الرمز، فيعرض لمحة خاطفة عن تاريخ الارقام وماهيتها ومغازيها ورموزها في الكيان البشري ومعانيها في عملية الخلق، مع الاشارة الى سر الصفر وسر الارقام المقدسة ولغتها. اما الاسرار، فمودعة بأمان بين السطور وما على الطالب الباحث الا اكتشافها في معنى الكلمة الباطني.

* * *

«رسالة معلم حكيم الى تلاميذه»: خطها احد المعلمين الكبار الى تلاميذه ليساعدهم على السير في درب المعرفة. وهي تختصر حصيلة خبراته ومعلوماته وتعاليمه وارشاداته، وتعتبر في نظر حكماء معرفة الذات، المرجع الاهم والاعظم في تاريخ العلوم الباطنية، تنتهجها المعاهد الباطنية اساساً لتعاليمها، وتتناول أقسامها الثلاثة فعل المحبة وسبيل الوعي وأهمية التطبيق العملي.

ارشادات المعلم تختتم الرسالة قبـل ان ينفصل عن تلاميذه ليكمل مسيرته الازلية «الى لقاء مستديم في ضمير الاله»:

«مسيرتكم تبدأ في اعماقكم، لكنها تنتهي في اعماق الآخرين... ومن هناك تبدأ مسيرة اخرى توصلكم الى قلب الاله»! △

بيتسا ستيفانو